الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ٢٥ فبراير ١٩٩٧

المصالحة مع النيل

د . منير السمرى

كلية الفنون الجميلة . جامعة حلوان

يستحق النيل منا أن نصالحه بعد أن أعطى وأجزل العطاء، فما ثبت أن مستقبلنا وليس حاضرنا فحسب مرهون به، مصالحه تمتد بطوله داخل وخارج العمران المطل عليه فتزيل صور تلوث وسوء استخدام لكل من مياهه وجوانبه، وبتركيز على داخل العمران وعلى مشارفه، نجد القاهرة إحتاج لتلك المصالحة بشدة، كما أن إجراءها مع نيلها سيقدم المثل والنموذج لباقى المدن عليه والتى تحتذى بها .

مصالحة سبقت القاهرة إليها مدن عديدة على أنهار مختلفة ومنذ الخمسينات من هذا القرن حتى أصبح إجراؤها أمرا شائعا ومتعودا عليه، مدن وصلت فى علاقتها بانهارها خاصة الصناعية منها لأوضاع صعبة، إلا أنه بتوافر الإرادة السياسية من ناحية ووجود التصور أو المخطط المتكامل لمناطق انهارها من ناحية أخرى أمكن إزالة تلوثها وتقديم صور واستخدامات ترضى عنها لجوانبها .

مدن قامت فى البداية بوضع مخططات عامة لها تنظم توسعها وتحل اكثر مشاكلها إلحاحا، وهو ما قامت وتقوم به القاهرة منذ فترة من خلال مدن على مشارفها لاستيعاب فائض سكانها وأنشطتها مع حلول جادة للحركة والنقل داخلها وعلى محيطها .

وعليه حان وقت تلك المصالحة التى تأخرت إلا أنها لم تعدم فرصة إجرائها بعد، والتى ضياعها ، لا قدر الله، مع تفاقم أوضاع النهر فى مجال العمران سيحرمنا ولأجيال قادمة من الوجود الصحيح للنهر داخل المدينة مع كل المزايا البيئية والعمرانية والجمالية له والكامنة فيه، مصالحة كبرى تضم مع شواطئه والطرق بمحاذاته أكبر مساحات للعمران ترتبط به ويؤثر وجوده فيها، مصالحة تكون الأساس لتنظيم مساحات المدينة الداخلية، فيكون النيل من خلالها ولأول مرة فى تاريخها عليه أساس تخطيطها .

فنراه يأخذ صورة «العمود الفقرى» للخضرة والطبيعة داخلها وعلى مشارفها من ناحية وشكل «مساحة المعيشة الواسعة» لكل سكان المدينة من ناحية أخرى ذلك من خلال خضرة مصرية صميمة لتجمعات نخل وصفصاف وسنط، وفرص للتجمع من حوله ورؤيته والاقتراب منه باعتباره «مرفقا عاما» يحيطه عن بعد عمران انتظمت صورته من حيث الكثافة والارتفاع .

مصالحة تستند فى تحقيقها على وضع النهر المتميز داخل المدينة من جانب، حيث نجده مع بيئته المحيط الطبيعى الوحيد داخلها وعلى حدودها فلا غابة أو بحيرة أو حتى برارى مفتوحة، كما انه يتوسط عمرانها بطول محورها الشمالى الجنوبى (أكثر من ٢٠ كم) وانه لا يزال المتنفس الأول وفرصة النزهة المتاحة والرخيصة لغالب سكانها .

كما تستند فى تحقيقها ، ومن جانب اخر على توافر اراض ترتبط بالنهر الآن، قد لا تتوافر فيما بعد، اراض عبارة عن :

عمران متدهور وعشوائى لمناطق واسعة عليه مثل : «الوراق» و«امبابة» و«روض الفرج» و«مصر القديمة» و«دار السلام» و«الجيزة»، وجيوب وجزر زراعية متسعة مثل: «الوراق» و«الذهب» واخرى طبيعية (ضمن حدود المدينة) مع موانئ متدهورة ومساحات تخزين واسعة ترتبط بها اهمها ميناء «روض الفرج» ومواقع للصناعة وورش لبناء السفن بامبابة ومواقع متسعة لخدمة صناعة الطوب(قمائن) بالجيزة وامبابة والوراق مع ممتلكات عامة للدولة وشواطئ مهملة وشبكة طرق وخلافه .

مساحات استندت لها مدن عديدة فى تطوير جوانب انهارها، فالعمران المتدهور كان أساسها بمدن «سينسناتى» و«سانت لويس» الأمريكية ضمن برامج تجديد حضرها ، والموانئ القديمة وأرصفة الشحن مع مساحات أخرى اعتمدت عليها مدن «باريس» و«لندن» حيث نقلتها لمشارفها مرة أخرى، أما مواقع الصناعة التى اخليت والشواطئ المهملة فكانت أساس تطوير جوانب انهار مدن «نيو كاسل» و«سندرلاند» و«تيسيد» الصناعية الإنجليزية، فى حين كانت الممتلكات العامة الواسعة على نهر «سبوكن» بضاحية مدينة «واشنطن» أساس تطويرها، تلك وحالات اخرى مختلفة.

مساحات واسعة على نيل القاهرة تقدر بنحو عشرة الاف فدان تتركز على مشارف الأجزاء المواجهة لوسط المدينة على النهر إلا أنه بدراسة تلك الأجزاء يمكن التحصل على مساحات ليست كبيرة إلا أنها ستكون فعالة بالنسبة لمناطقها .

مصالحة يضع الأسس لها النخبة من المتخصصين وكبار رجال الفكر والثقافة والقلم المهتمين ضمن لجنة او ما شابه تتبع أعلى أجهزة الدولة، لجنة تقرر وقف البناء بمنطقة النهر بعد تحديدها علميا وعمليا حتى يتم وضع التصور المتكامل لها، وإنشاء صندوق يمول شراء الأراضى المشار إليها بعد نزع ملكيتها،كما تنظر فى نقل الأندية الفنوية التى تحجب منظر النهر وتمنع استخدامه إلى مواقع أكبر عليها خارج المدينة يصل إليها الطريق الدائرى أو بالمدن الجديدة، مع وضع معالم تشريع عمرانى نفتقده لحماية المساحات المتميزة داخل المدينة وعلى مشارفها يتناول كلا من صورتها واستخدامها على حد سواء .

مصالحة تحقق للقاهرة جانبا مهما من شبكة خضرة تحتاجها فتضيف للفرد من سكانها حوالى ٢,٠٠ متر مربع مع نصيبه الحالى منها ويقدر بـ ٠,٥ متر مربع ونصيبه من مسطح النهر أيضا والذى يبلغ ٢,٠٠ متر مربع (١٩٨٣م) ليصل إجمالى نصيب الفرد من مساحات طبيعية مفتوحة داخلها حوالى ٥,٥ متر مربع، رقم لا بأس به، تتضاعف قيمته نتيجة ارتباطه بالنهر .

مصالحة عائدها البيئى والنفسى والجمالى والتربوى هائل، قد يصعب تقديره رقميا، إلا أنه ينبغى عدم التجاوز عنه من ناحية وعائدها الاقتصادى الناتج عن مشروعات كبرى عديدة سينتهى إليها التصور للمنطقة يحتاج لدراسة جدوى تفصيلية مؤكدة النجاح من ناحية أخرى مشروعات ستضم مع مساحات الخضرة الواسعة مساحات اقل للإسكان والترويح والسياحة والتجارة والثقافة وغيرها فوق الأرض وتحتها .

مصالحة سنكسب معها مرتين، قاهرة جديدة تستقبل قرنا جديدا ونيلا صحيحا معافى، نيلا فاض خيره حين شعر اننا شمرنا السواعد عن همة حقيقية لنهضة قادمة فلا نستكثر عليه تلك المصالحة، ولتكن السنوات العشر القادمة عقدا للنيل تخضر فيه دلتا جديدة له فى الجنوب ونصالح فيها نيلا ودلتا قديمة فى الشمال .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية